

منهج بديع الزمان النورسي في بناء الإيمان من خلال كتابه (روجة العلماء)
الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، اللهم صل وسلم وبارك على
هذا النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم.
أما بعد:

في هذا الكتاب الشديد الأهمية، العالي القيمة، تتجلى كل رسائل النور، وتتضح الأفكار
الرئيسية التي بثها بديع الزمان النورسي في أمته، يهدف من خلالها لإعادة روح الإيمان الذي هو
حياة الأمة الإسلامية، وروحها النابض، وقلبها الباعث، ومنقذها يوم الدين، وسبيل مرضاة رب
العالمين، وقامع بدع الملحدين، ورد كيد المتربصين والحاquدين.

لقد جاء النورسي على قدر، فوجد الناس - إلا من رحم - قد تركوا جوهر الإسلام ولبابه
، وحصرُوا تفكيرهم في قشوره وظاهره، وأساءوا الفهم والأدب معاً، فكان العجز من قبل المسلمين
من كل الجهات، والجد والاجتهاد في النيل من الإسلام من قبل الأعداء المتربصين، والخونة الغافلين
، وفقدنا احترام الدين الحق، وهداية السماء لأهل الأرض، فظهرت الخرافات والخيالات والأوهام
والأساطير، وأنزلناها منزلة أصول الدين، ودخلت الحكايات في عقائد المسلمين، وتم خلط المجازات
، والتشبيهات، والكنيات، بالحقائق، فلحقنا الخسائر المتتالية، وصرنا في ذيل قافلة البشرية،
ولحقنا السفالة والخسة والندالة، إلا من اعتصم بحبل الله المتين.

وفي سبيل تغيير ذلك الواقع اتجه النورسي لإصلاح العلماء، فهو ملح البلد، إذا فسد فسد
سائر الطعام، وإذا فسد العلماء فسد من عداهم، وفي ظل هذا الواقع المرير كان كتاب (روجة
العلماء) أو صيقل الإسلام، أو المحاكمات العقلية، فهذا الكتاب بمثابة الوصفة الطبية للعلماء
، أو محاكمة العلماء على ميزان الفهم السليم، ليتعافوا أولاً من أمراضهم، ثم يقومون بدورهم
لتطبيب سائر المسلمين.

وللأسف الشديد فقد تعامل المسلمون وعلى رأسهم طلاب النور مع هذا الكتاب على غير
الوجه الأمثل، فظنوا الكتاب - لقوة أسلوبه، وحرصانه عبارته، ودقة معانيه - من التراث القديم
لنورسي، وقد جاء النورسي الجديد بتراث جديد، ورسائل النور، فنسخت هذا الكتاب، وقد
ساعدتهم على هذا الفهم المغلوط، وجود قسم المنطق، وقسم البلاغة، ومقدمات لم يستوعبوا

علة وضعها في صدر الكتاب ، وخاتمة للكتاب بنصائح للعسكر ، بعد إضافاته وزياداته على الخطبة الشامية التي تزين بها الكتاب .

وقد شاء الله تعالى أن ألتقي مع هذا الكتاب ، وأحاول الغوص في أعماقه ، في محاولة لفهم أبعاده ، وكشف معانيه ، والبحث عن أسرارهِ ، ومحاولة استخراج المنهج الذي سار عليه في تأليفه ، والفائدة المرجوة من هذا المنهج ، وأثر هذا المنهج في بيان الوصفة الطبية التي ساقها النورسي تحت عنوان (رتبة العلماء) أو صيقل الإسلام ، أو محاكمات عقلية لحاملي تراثنا ، وموقف العلماء مع هذا التراث .

فهذا الكتاب بمثابة صحيحة تحذير ، وصاحبه كالنذير العريان ، ينذر فيه صاحبه المسلمين من دعاة الغفلة ، ومن جهل الأبناء ، وكيد الأعداء ، لعلنا نتوب إلى الله تعالى ، ونطلب رضاه ، ونعتصم بحبله المتين ، فنتصدي للخيالات والأوهام التي قامت في غياب الحق على مر القرون ، ولكن يأبى الله تعالى إلا أن يتم نوره ، ولو كره المشركون ، والمجرمون ، والكافرون ، والفاسقون ، ويكون النصر على هؤلاء بأمثال النورسي ومن على شاكلته رحمهم الله تعالى برحمته الواسعة .

فحقائق الإسلام رغم ضعف أهله ، هي التي ستسود ، ونور الله سيظهر على العالم كله ، وما أخرج العالم الإسلامي ، وتسبب في ضعف المسلمين إلا التعصب الذميم ، والتقليد المذموم ، وضحالة العقول ، وسطحية التفكير ، وعدم الجد والاجتهاد ، والاستبداد المقيت ، وسيطرة السادة والكبراء ، والجهل ، والتعصب ، وسوء الخلق ، وشبهة تعارض الدين والدنيا في الإسلام ، واليأس المعطل المحبط ، والأحوال المضطربة ، والتأمر على هذا الدين منذ ظهر وحتى قيام الساعة .

وبسبب عوامل التخلف السابق ذكرها ، فقد أدى تخلفنا إلى معادة أنفسنا ، وإضعاف ديننا ، والصد عن سبيل الله تعالى ، والوقوف في سبيل نشر العلم والمعرفة والثقافة ، أو كل ذلك - إلا عند من رحم الله تعالى - ومن هنا كانت الحاجة ماسة لهذا الكتاب القديم الجديد ، فقد علق عليه النورسي في آخر حياته ، ولم يتراجع عما ورد فيه .

سبب تأليف النورسي لهذا الكتاب يمكن تلخيصه في التالي :

رد شبهات أعداء الدين الذين يبخسون الإسلام حقه، ويحاولون الانتقاص من قدره، بإظهار الطريق المستقيم الذي عليه الإسلام.. ودفع أوهام أهل الإفراط والغلو المغرمين بظاهر الإسلام دون حقيقته، وأوهام أهل الغلو في الجانب الآخر أصحاب التفريط ، فلا إفراط ولا تفريط في الإسلام، وإمداد العلماء المسلمين العاملين بعلمهم، الأوفياء الصادقين لفكرتهم ، العقلاء الأذكياء، وهم المرشدون الحقيقيون، الأصلاء الذين يسعون في إظهار هذا الصراط المستقيم ، يحدوهم الأمل الكامل في النصر، ويسعون لتمهيد السبيل إلى مستقبل الإسلام الأبلج ، وبناء جيل النصر المنشود ، ووأد جيل النكسة المخبول المفروض .

وفي سبيل ذلك سعى النورسي إلى صقل سيف الإسلام، وكتابة وصفة طبية ناجعة، والسيف هنا المقصود به سيف البراهين العقلية ، والأفكار المستنيرة، بتجديد الدين ، وإن شئت فقل :تجديد أمور الدين ، تجديد المتغيرات في الدين ، والحفاظ على ثوابته، التجديد في الفروع دون الأصول ، باختصار يهدف النورسي إلى التجديد لا التبديد ، إلى عودة الإسلام إلى صورته التي كان عليها قبل أي تحريف أو مغالاة من قبل المتنطعين أهل الإفراط أو التفريط ، وذلك من خلال المقالات التي اشتمل عليها الكتاب ، بترتيبها ، والترتيب مقصود ، وكذلك ما ورد فيه من موضوعات مختارة بعناية ، بترتيبها الوارد الذي يدل على صورة واضحة لرجة تنهض بالعلماء؛ ليقوموا بدورهم في صقل الإسلام ، بغية تجديد الدين ، وبعث روح الإيمان ، وهذا ما أحاول تحقيقه بمشيئة الله تعالى .

وقد جاء المنهج في هذا الكتاب - وفق اختياري - في صورة : مقدمة ، وثمانية مقالات.

المقالة الأولى:تبحث في التخلية قبل التحلية، وكشف الشبهات والإسرائيليات.

المقالة الثانية:تكشف عن عنصر البلاغة، حتى نعرف الفرق بين حقيقي الكلام ومجازه.

المقالة الثالثة: تبين عناصر العقيدة .من الإلهيات والنبوات والسمعيات والعدل .

المقالة الرابعة: دراسة علم المنطق ، كعلم يضبط قواعد الفكر ويعصمها عن الخطأ في التفكير .

المقالة الخامسة: تطبيق عملي لما سبق .

المقالة السادسة : حوار بين العلماء في العلم وطرح الأسئلة والأجوبة عنها .

المقالة السابعة : بعدما سبق من العمل على نصرة الحق ، يكون الامتحان الحقيقي والصبر على الإيذاء المتعمد من أعداء الإسلام .

المقالة الثامنة : تذكير بكل ما سبق من خلال الخطبة الشامية ، وتنبيه العسكر بالانضباط وعدم القيام بانقلابات لتحقيق أهداف أعداء الإسلام .

ويكون التركيز في تلك المقالات على ما يخص بناء العقيدة بصورة مباشرة ، وهذا الكتاب بحق هو تربية علمية للعلماء قبل غيرهم ؛ حتى يتمكنوا من تربية غيرهم ، وزرع الإيمان في قلوبهم ، وتثبيت اليقين في عقولهم ونفوسهم ، ولا يكون ذلك إلا بعرض الإسلام بعد صقله ، وهذا ملخص روجته العلماء التي وصفها الطبيب النورسي في سائر رسائل النور ، وبالله التوفيق .

د / اليماني الفخراي

المقالة الأولى: مقدمات من باب التخلية قبل التحلية .

المقدمة الأولى:

عند تعارض العقل والنقل ، يقدم العقل السليم لأنه وسيلة فهم النقل ، وأساس التكليف ، وعلى حد تعبير بديع الزمان النورسي : اعلم أن : مقاصد القرآن الأساسية ، وعناصره الأصلية المنبثقة في كل جهاته أربعة: ما يتعلق بالإلهيات ، وما يتعلق بالنبوات ، وما يتعلق باليوم الآخر ، والعدل ، ولا أدري هل أتى النورسي بالعدل ، وهو أحد الأصول الخمسة للمعتزلة ضمن موضوعات العقيدة الثلاث عند أهل السنة والجماعة ؟ أم أنه أتى به من اجتهاده ؟ أظن الثاني ، والعدل عنده روح سائرة في دقائق الكون ، فلم يفرد به بالحديث كالمعتزلة ، بل بحث عنه في ثنايا الكون والبحث عنه وعن الحكمه في غيابه بين البشر ، ومصير وحكمة هذا الغياب ، فتأمل .

فالنورسي جعل القرآن الكريم قبلته ، فالقرآن الكريم هو وحده الكفيل بالإجابة عن الأسئلة التي تسألها ، وما الحكمة من خلق الكائنات: من أين ؟ ولماذا ؟ وإلى أين المصير ؟. وفي النهاية خلص إلى أن كل مخلوق في الكون له وظائف يجب عليه القيام بها ، ومن هذه الوظائف كما يراها النورسي :

الوظيفة الأولى : إعلان عظمة الخالق الجليل بانتظامه واتفاقه مع غيره .

الوظيفة الثانية: إظهاره أن الإسلام زبدة العلوم الحقيقية ، فالدين عندنا علم ، والعلم عندنا دين ، وطلبه فريضة ، والعلم سبيل للجنة .

الوظيفة الثالثة : لا تعارض بين كتاب الله المسطور وكتاب الله المنظور .

الوظيفة الرابعة : توجيه الأفكار إلى حقائق الأشياء ، والحث عليها والتنبيه إليها ، فالتفكير فريضة إسلامية ، وهذا ما لا يوجد في دين آخر .

المقدمة الثانية:

قد يكون بديهياً الآن ما كان نظرياً في الماضي ، والبديهي ما لا يحتاج إلى نظر واستدلال ، والنظري: هو ما يحتاج إلى نظر واستدلال ، وهناك مسائل كثيرة في هذا الزمان ، قد أصبحت في عداد البديهيات والعلوم المعتادة ، بينما كانت في السابق أموراً نظرية ، شديدة الخفاء والغموض ،

ومحتاجة إلى سرد البراهين ، فتراكم العلوم جعل النظريات السابقة بدهيات الآن ، وإلا لو وقفنا عندها فلن تتقدم العلوم .

ولم يفت النورسي التنبيه على أن : المسائل قسمان:

القسم الأول: يؤثر فيه تلاحق الأفكار ، بل يتوقف عليه ، كالتعاون في الماديات لرفع صخرة كبيرة ، وأغلب هذا القسم هو من العلوم المادية.

والقسم الثاني: لا تأثير للتعاون وتلاحق الأفكار فيه من حيث الأساس، وأغلب هذا القسم هو من المعنويات ومن العلوم الإلهية، وبالتالي لا اختراع في الدين ، ولا اجتهاد مع النص ، وإن وجد الاجتهاد في فهم النص ، فتأمل .

المقدمة الثالثة: التحذير من الوافد الضار .

إن دخول طائفة من الإسرائيليات، وقسم من وثنيات الفلسفة اليونانية ضمن دائرة الإسلام، وظهورها بزي الدين الجميل، أو بدعوى التوفيق بين الدين والفلسفة ، كل ذلك عمل على تشويش الأفكار، وتضليل الفهوم ، في الوقت الذي كان فيه العرب النجباء في صدر الإسلام على استعداد لمعرفة الدين دون النظر لمشاهدة الكون بنظرات فلسفية ؛ بل نظرات استدلالية على وجود خالق الكون .

ولكن الأمة العربية -بعد ذلك- أخذت تحتضن الأقوام الأخر، فدخلت معلومات سائر الملل وعلومها أيضاً حظيرة الإسلام، ثم وجدت الإسرائيليات المحرفة منفذاً إلى خزائن خيال العرب، من باب علماء أهل الكتاب ، فامتزجت الإسرائيليات بالأفكار الصافية ، بعد فترة من ورودها ، وللأسف فقد وجدت هذه الأفكار الضالة طريقها ، واعتبرها البعض حقائق عن قصد أو غير قصد ، وأصبحت سبباً لكثير من الشبهات والشكوك، وعلى العلماء أن ينتبهوا من خطورة ذلك وينقظوا الناس من أثر تلك الأفكار ، وبيان أثر هذه التنقية على صفاء الإيمان ، كما يرى النورسي .

وإذا كان علماء النحو قد نجحوا في تمييز الصحيح من الفاسد من النطق الفصيح ، واللسان البليغ ، فإن نجاح علماء الكلام لم ينجحوا بقدر نجاح علماء النحو ، فللأسف الشديد قد تلبست الفلسفة بعلم الكلام ، رغم أن علم الكلام أسس للدفاع عن الإيمان ضد الوافد اليوناني

الذي تسلح به البعض ، ونتيجة لامتزاج الوافد بالأصيل فقد ظهر الأثر السيء لهذا الخلط في التفاسير التي اختلطت بالإسرائيليات ، وكذلك ظهر هذا الأثر السيء في تفسير الأحاديث النبوية ، وهكذا دخلنا في أتون المعارك بين الفرق التي تكون بعضها من آثار هذا الوافد.

ولكن النورسي كان يقظاً، وهو الذي عايش الفرق ومذاهبها ، والتفاسير والدخيل فيها ، يحذر العلماء من الوافد الضار ، ويذكروهم أن القرآن الكريم معجز في كل شيء ، وهو النور المبين ، والصراط المستقيم ، وهو يفسر بعضه بعضاً ، وكله در لا قشر فيه .

وكما يقول النورسي لمن يحاول بناء الإيمان من معاني القرآن وغيره: ابحث عن معاني القرآن في أصدافه، لا في جيبك الحاوي على أخلاط، فإنك لن تجد شيئاً، وحتى لو وجدت فالقرآن يرفضه، إذ لا يحمل طغراء البلاغة، وهنا إشارة إلى أهمية البلاغة في فهم النصوص، وله حديث بليغ حول أهمية البلاغة في فهم النصوص .

المقدمة الرابعة: خطورة الشهرة

في هذه المقدمة يذكر النورسي أن الشهرة تملك الإنسان ما لا يملك، فالرواة المشهورون بالعلم والفقه والرواية ، تنسب إليهم الروايات الساقطة ، فتكتسب هذه الروايات الساقطة قوة من نسبتها إلى المشاهير إلا عند الخبراء بفن النقد وبعلم الدراية .

وعلى حد تعبير بديع الزمان النورسي: إن إسناد قسم من الأحاديث الموضوعة إلى "ابن عباس" رضي الله عنه وأمثاله من الصحابة الكرام؛ لأجل الترغيب أو التهيب، إثارة للعوام حساً لهم، إنما هو جهل عظيم، نعم، إن الحق مستغن عن هذا، والحقيقة غنية عنه؛ فنورهما كافيان لإنارة القلوب، تسعنا الأحاديث الصحيحة المفسرة الحقيقية للقرآن الكريم، ونثق بها ونطمئن إلى التواريخ الصحيحة الموزونة بميزان المنطق.

المقدمة الخامسة: الخلط بين الحقيقة والمجاز

إذا وقع المجاز من يد العلم إلى يد الجهل ينقلب إلى حقيقة، ويفتح الباب للخرافات، فالمجازات والتشبيهات إذا ما اقتطفتها يسار الجهل المظلم من يمين العلم المنور، أو استمرت وطال

عمرهما، انقلبنا إلى "حقيقة" مستفرغة من الطراوة والنداوة، فتصير سرايا خادعا بعدما كانت سرايا زلالا، وتصبح عجوزا شمطاء بعدما كانت فاتنة حسناء.

والمأساة تكمن في الخلط بين الحقيقة والمجاز وخاصة من قبل العلماء ،وقد نبه النورسي على خطورة ذلك فقال:لا ينبغي الحكم على أي شيء بظاهره؛ إذ من شأن المحقق: سبر غور الموضوع.. والتجرد من المؤثرات الزمانية.. والغوص في أعماق الماضي.. ووزن الأمور بموازين المنطق.. ووجدان منبع كل شيء ومصدره، وكعادة النورسي يستفيض في شرح أفكاره، ولكنه غالباً يأتي بخلاصة الخلاصة ، حتى لا يضل القارئ في بحار التفاصيل عن المعنى المقصود، والفكرة المراد بثها ، والتأكيد عليها .

فيا أيها القارئ الكريم ، أنعم النظر أيضا في **المقدمة الخامسة ، والتي تدور حول التحذير من الخلط بين الحقيقة والمجاز،** وانظر إليها بدقة متناهية، فكثير جداً من الخرافات والخلافات، إنما تنشأ من هذا الأصل، فينبغي الاسترشاد بالمنطق والبلاغة، فعلى العلماء أن يتسلحوا بعلمي المنطق والبلاغة ، حتى يستقيم فهمهم ، وتنضبط أفكارهم ، فتأمل ولا تتعجل الأحكام .

المقدمة السادسة: من ادعى الكل فاته الكل

من الحقائق التاريخية: أن الشخص الواحد لا يستطيع أن يتخصص في علوم كثيرة؛ إلا من كان فذاً، فيستطيع أن يتخصص في أربعة أو خمسة من العلوم، ويكون صاحب ملكة فيها، فمن ادعى الكل فاته الكل؛ لأن لكل علم صورة حقيقية، وبالتخصص تتمثل صورته الحقيقية؛ إذ المتخصص في علم إن لم يجعل سائر معلوماته متممة وممدة له، تمثلت من معلوماته الهزيلة صورة عجيبة، والعلاج هو اتخاذ المرء أحد العلوم أساساً وأصلاً، وجعل سائر معلوماته حوضاً تخزن فيه.

أما دخول مسألة من مسائل الفلسفة، أو الكيمياء ، أو الطبيعة ، أو الجغرافية ، أو التاريخ وأمثالها في كتب التفسير، أو الفقه، لا يجعل تلك المسألة من التفسير أو الشريعة قطعاً، وقد رأينا العجب حين رأينا من يأخذ العقيدة من كتب الأدب ، والأخلاق من الفلسفة ، ثم يحاكم المسلمين بميزان هذه الكتب ، بل ويعتبر واقع المسلمين حجة على الإسلام .

المقدمة السابعة: المبالغة تشوش الأمور وتبليها.

يرى النورسي تحذير العلماء من المبالغات التي تؤدي لنتائج عكسية : لأنه كما أن الاستزادة من دواء شاف ينقلب إلى داء؛ كذلك المبالغون في الترغيب والترهيب، المستغني عنهما الحق؛ كجعل الغيبة كالقتل، أو إظهار التبول وقوفاً بدرجة الزنا، أو التصديق بدرهم مكافئاً لحجة ... وأمثالها من الكلمات غير الموزونة التي يطلقها المبالغون وخاصة من الوعاظ والخطباء... كأنما يستخفون بالزنا والقتل ويهونون شأن الحج.

وبناء على هذا لا بد أن يكون الواعظ حكيماً، وذا دراية بالمحاكمات العقلية التي تضبط العقل في اجتهاده واستنباطه، وإلا سيكون هذا العالم محدود الفكر والثقافة سبباً في حجب الكثير من حقائق الدين النيرة القيمة، والمبالغات ستعصف بهذه القيمة، فالدين كامل بنفسه فلا تحاول استكمال الكامل فتنتقصه، والمنتقص هنا من علماء السوء.

وعلماء السوء الذين يكونون سبباً في تشويه الإسلام وحقائقه سيعطون المبرر لعلماء السوء من غير المسلمين ، حيث يتلقون ترهاتهم على أنها من حقائق الإسلام، وهؤلاء أيضاً علماء سوء، وعليهم أن يزناوا الأمور بالمحاكمات العقلية، ولا يكتفوا بالنظر السطحي، بل ينظرون إلى ما وراء الحجب ، ليعلموا أن كل حقيقة من حقائق الإسلام برهان نير كالنجم الساطع، يتلأأ عليه تقدير العزيز العليم، وصبغة الله ومن أحسن من الله صبغة، وصنعة الله ومن أحسن من الله صنعة ، صنع الله الذي أتقن كل شيء ، الإسلام حجة على المسلمين، وليس العكس فافهم تسلم .

المقدمة الثامنة: اختفاء الحقيقة

يرى النورسي أنه لما كانت الميول متفاوتة فإن تدخل الشعور بالانحياز في كل شيء، ونشوء التبلي بالاختلافات جعل الحقيقة تهرب وتختفي، تحت سياط التعصب وتضليل الآخرين ، أو تحت ظلال السفسطة المذمومة ، لكن الحق يجب أن نعمل على أن تعود الحقيقة للظهور عند الابتداء بالحق بدلاً من التعصب، وبالبرهان بدلاً من السفسطة، وبالتوفيق والتطبيق بدلاً من تضليل الآخرين .

وقد سادت القرون الأولى القيم المشجعة لظهور الحقيقة ،مثل قيم الحق، والبرهان ،والعقل، والشورى ،الأمر الذي أدى لغياب الشكوك والشبهات ، وهكذا إن عادت القيم ذهبت الشكوك ، وإن غابت حضرت ، ولكل قيمة محاسنها ، ولغيابها أضرار وأضرار ، كما حدث من القرن الخامس وحتى يومنا هذا ، والدين متين فأوغل فيه برفق ، وجاء وجاء وجاء الحق وزهق وزهق الباطل فتأمل ولا تعجل ، وحافظ على القيم الإسلامية يسلم لك الفهم الصحيح .

المقدمة التاسعة: الخير أصل والشر تبع

يرى النورسي أن الخير كلي والشر جزئي، والكل أشرف من الجزء، وأن الخير مقصود بذاته ،والشر تبع ، الكون منسجم كصنعة الله ، وكل ما فيه خير ، ثم ظهر الشر نتيجة لفساد الناس . وبناء على ما سبق: فقد ثبت بشهادة العلوم جميعها ، وبتصديق الاستقراء التام الناشئ من نظر الحكمة: أن الحسن والخير والحق والكمال ، هو المقصود بالذات ، والغالب المطلق في خلق العالم ، أما الشر والقبح والباطل ، فهي أمور تبعية ومغلوبة ومغمورة ، وحتى لو كانت لها الصولة فهي صولة مؤقتة إلى زوال .

كرم الله بني آدم ، وأشرف أولاد آدم هم المسلمون الصادقون ، الذين أسلموا وجههم لله تعالى رب العالمين ، وأكمل الكل ، هو سيد البشر محمد صلى الله عليه وسلم ، تشهد على ذلك معجزاته بعد أخلاقه ، ومن هنا فلا يصح إلا الصحيح ، قال تعالى : {كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ (17) لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَى وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ (18) {الرعد .

ويرى النورسي أن الدور لنا لا علينا ، وشمس الإسلام قادمة لن تغيب مهما تكالب الأعداء علينا وكثروا ، وأن مستقبل الإسلام في العالم باهر ، وفي غاية السطوع واللمعان ، قال تعالى : {هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا (28) {الفتح . وقال أيضاً : {هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ (9) {الصف .

فعلى العلماء أن يوقنوا بانتصار الإسلام ، وألا يتسرب إليهم اليأس والقنوط ، وقد أرجع النورسي قوة الإسلام وانتصاره في المستقبل لعدة قوى منها :

القوة الأولى: قوة الإسلام الحقيقية المدعمة بالمعرفة والمدنية.

القوة الثانية: الحاجة المجهزة بتوافر الوسائل وتكمل المبادئ والأسباب.

القوة الثالثة: المنافسة والغبطة والغيظ المضمّر ، هي أمور تهيئ الصحة العامة الناشئة من رؤية منطقة في منتهى السفالة وغيرها في منتهى الرفاه.

القوة الرابعة: استعداد الفطرة المجهزة بتوحيد الكلمة ، وبدمائة الخلق والاعتدال ، وبتنوير الأذهان ، وبتلاحق الأفكار ، وبسلامة الفطرة ، وبالخفة والإقدام .

القوة الخامسة: الرغبة في التحضر والتمدن والنزوع إلى التجدد والتقدم المادي .

المقدمة العاشرة: فن التعامل مع المتشابهات

كم هو عظيم بديع الزمان النورسي هذا ، فهو بحق يضع رتبة للعلماء ، ويضع يده وقلمه على منابع افتراق الأمة ، رحمه الله ورضي عنه في الدارين ، إن المقصود الأهم من الكتاب الحكيم هو إرشاد الجمهور الذين يمثلون أكثرية الناس ؛ لأن خواص الناس يمكنهم أن يستفيدوا من مسلك العوام ، بينما العوام لا يستطيعون فهم ما يخاطب به الخواص حق الفهم ، علما أن معظم الجمهور هم عوام الناس ، والعوام لا يستطيعون مشاهدة الحقائق المحضة وإدراك المجردات الصرفة متجربين عن مألوفاتهم ومتخيلاتهم.

وبناء على ذلك فقد وردت ألفاظ في القرآن لابسة زي مألوفات العوام ، فتجد المجردات بكساء المحسوسات ، حتى تأنس العقول الكليّة ، وتشاهد العوام صورا تعبر عن حقائق مجردة من باب التيسير في الفهم ، والآفة في الوقوف عند الصور دون البحث فيما وراءها .

وبناء على هذا:

فإن ما في أساليب اللغة العربية من مراعاة الأفهام ومماشاة الأذهان ، قد جرت في القرآن الحكيم المعجز البيان ، والتي تعبر عنها بـ "التنزيلات الإلهية إلى عقول البشر" فمثلا:

(استوى) في قوله تعالى: {إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (54) {الأعراف .

(واليد) في قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا (10) {الفتح .
(والجنب) في قوله تعالى: {أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتًا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاجِدِينَ (56) {الزمر... الخ . كلها روافد لهذا الأسلوب .

وقد ورد عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: "لكل آية ظهر وبطن، ولكل حرف حد ومطلع"¹.

المقدمة الحادية عشرة: احتواء القضية الواحدة على قضايا عدة

قد يتضمن الكلام الواحد أحكاما عدة، فربما يحوي الصدف الواحد كثيرا من الدرر، مثال ذلك: ورد في الحديث الشريف: "بعثت أنا والساعة كهاتين"².
فهذا الحديث الشريف يتضمن ثلاث قضايا:
أولاهما: أن هذا الكلام هو كلام النبي صلى الله عليه وسلم..
ثانيتهما: أن المعنى المراد من هذا الكلام حق وصدق..
ثالثها: أن المراد من هذا الكلام هو كل ما سبق .

¹ - رواه أبو يعلى في "المسند" 80 / 9 (5149) والطبري في "جامع البيان" 12 / 1، والطحاوي في "شرح مشكل الآثار" 109 / 8 (3095)، والطبراني في "المعجم الكبير" 105 / 10 (1017) وفي "المعجم الأوسط" 236 / 1 (773)، وكلهم من طريق مغيرة، عن واصل بن حيان، عن عبد الله بن أبي الهذيل، عن أبي الأحوص، عن عبد الله بن بنحوه مرفوعًا، وعند بعضهم زيادة في أوله وردت في الصحيح. قال الهيثمي في "مجمع البحرين في زوائد المعجمين" 104 / 6: قلت هو في الصحيح خلا قوله "وأُنزل القرآن ..". ورواه أبو يعلى في "المسند" 278 / 9 (5403) والبزار في "البحر الزخار" 441 / 5 (2081)، والطحاوي في "شرح مشكل الآثار" 8 / 87 (3077)، وابن حبان في "صحيحه" انظر "الإحسان" 276 / 1 (75)، كلهم من طريق سليمان بن = بلال، عن محمد بن عجلان، عن أبي إسحاق، عن أبي الأحوص به بنحوه دون قوله: "ولكل حرف حد ومطلع".

² - رواه البخاري في صحيحه (347 / 11) كتاب الرقاق.

وهذه القضية الثالثة هي منبع الاختلافات، ومنشأ الافتراقات، وأصدق شاهد على ذلك هو ما نراه من (الأقوال المتضاربة) في مسألة واحدة، وبالتالي فعلى العلماء أن يعلموا ألا إنكار في المختلف فيه .

المقدمة الثانية عشرة: الاشتغال بالفروع غالباً ما يكون على حساب الأصول

يرشد النورسي العلماء في هذه المقدمة ، إلى أن من لم يجد اللب ينهمك في القشر، ومن لم يعرف الحقيقة يزل إلى الخيالات، ومن اشتغل بالفروع غالباً يكون على حساب الأصول، ومن لم ير الصراط المستقيم يقع في الإفراط والتفريط، ومن لا يملك ميزانا ولا موازنة له يخدع وينخدع كثيراً، فيضل الناس بغير علم.

وقد سعى النورسي هؤلاء بالظاهرين في الفكر، كما يرى أن محاولاتهم جر الإسلام للشكليات هي محاولات عبثية ، فالإسلام جوهر قبل المظهر ، حقيقة لا خيال ، ومحاولتهم العبثية لا تزيد المسلمين إلا تخلفاً وجهاً ، فالأنبياء بعثوا بمنهج للحياة ، يصل الناس ببرهم ، ويبلغهم مراد ربهم منهم ، وجزاء من أطاع وعقاب من عصى، والأنبياء قدوة عملية وسلوكية ، ولا تمثل المعجزات إلا القليل من قليل سيرتهم ، فهناك سنن لله جارية في كونه، لا تخرق إلا لعلة وحكمة ، وهذه الخروقات الإعجازية هي في ذاتها إثبات لسنن الله الجارية في كونه.

ومن هنا فإن إدخال زيف الحكايات، وخبث الإسرائيليات ، وأباطيل التشبيهات في ألماس العقيدة وجوهر الشريعة ودرر الأحكام، إنما هو حط لقيمتها، وتنفير لطالبيها من متحري الحقيقة، ودفعتهم للندامة.

وقد ضرب النورسي أمثلة للمسائل التي تولد الشبهات ، وذكر الفهم الصحيح لهذه المسائل ، وأهم المسائل التي ذكرها ، والتي تعتبر مصدراً للشبهات والخرافات عند قاصر العقل كالتالي :
مسألة كروية الأرض.. ثم الثور والحوت.. وجبل قاف.. وسد ذي القرنين.. وأوتادية الجبال.. ووجود جهنم تحت الأرض.. والآيات الكريمة كدحاها في قوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾

(30){النازعات. وسطحت في قوله تعالى: {وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ} (20) {الغاشية . وجبال من السماء فيها من برد كقوله تعالى: { أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ} (43){النور . وجهنم تحت الأرض ، ويأجوج ومأجوج والفوضى الناتجة عنهما ، وعن ذي القرنين وحقيقته ... الخ .

ثم شرع في الرد على كل مسألة ، وكيف نشأت الشبهة في الفهم ؟ ، والفهم الصحيح لها ، فهل ينتبه العلماء لمثل هذه المسائل التي ينتج عن الكلام فيها عن جهل مزيد من التثبيت للشبه الواردة فيها ؟؟؟.

وتأمل لعبقرية النورسي الذي ينقلك من هذه الشبهات إلى لب المشكلة ، ومن أصل المشكلة إلى سر حلها ، وهذا السر يكمن في دراسة البلاغة العربية ، لنعرف كيف نفهم ، فنراه يقول : إن مفتاح دلائل إعجاز الآيات ، وكشاف أسرار البلاغة ، هو في معدن البلاغة العربية ، وليس في مصنع الفلسفة اليونانية الوافدة بثقافة الآخر الوثني والمختلط .

وعقب هذا مباشرة شرع في بيان ميادين عنصر البلاغة ، ومفتاح الإعجاز في المقالة التالية ، وهي المقالة الثانية في كتابه الممتع (رتبة العلماء) أو (صقل الإسلام) ، أو (الصيقل الإسلامي) ، فتأمل ، وإياك أن ينفرك إغلاق أسلوبها ، وظاهر مسائلها المهمل ؛ لأن دقة معانيها هي التي أغلقتها ، وجمال معانيها بذاتها هو الذي جعلها مستغنية عن الزينة الظاهرية .

المقالة الثانية: البلاغة

المقالة الثانية في الوصفة الطبية النورية التي يطلب من العلماء السير في ضروبها، بغية نجاحهم في تحقيق الإيمان ، هي عبارة عن عدة مسائل تتعلق بروح البلاغة ، وليس مجرد سرد قضايا البلاغة ، كما تدرس للطلاب في قاعات المعاهد والمدارس والجامعات، بل روح البلاغة ، وما أدراك ما روح العلوم هذه الروح التي نفتقدها؟ وأثر ذلك في بناء العقيدة ، وبعث روح الإيمان في القلوب ، وأثر ذلك على السلوك ، وقد رأينا ذلك في العديد من مسائل رسائل النور ، وأثر تنوع أسلوب النورسي في عرض أفكاره على زرع الإيمان ، وتثبيت اليقين ، فما يصفه النورسي في هذا الكتاب يطبقه في سائر رسائل النور فتأمل ولا تعجل.

المسألة الأولى: بين حب اللفظ وحب المعنى

تحدث النورسي عن الخلل الناشئ عن دخول العجم في العرب ، حيث حولوا الذوق البلاغي من مجراه الطبيعي للفكر، وهو نظم المعاني، إلى صنعة اللفظ، وخلص إلى أن المجرى الطبيعي لأنهار الأفكار والمشاعر والأحاسيس إنما هو نظم المعاني، ونظم المعاني هو الذي يشيد بقوانين المنطق، وأسلوب المنطق متوجه إلى الحقائق المتسلسلة.. والفكر الواصل إلى الحقائق هو الذي ينفذ في دقائق الماهيات ونسبها.. ودقائق الماهيات ونسبها هي الروابط للنظام الأكمل في العالم.. والنظام الأكمل هو المندمج فيه الحسن المجرد الذي هو منبع كل حسن.. والحسن لمجرد هو روضة أزاهير البلاغة التي تسمى لطائف ومزايا.. باختصار لا ميل لحساب اللفظ على حق المعنى ، ولا جور على حق المعنى لصالح اللفظ، وللأسف فقد تحول نظم المعاني إلى نظم الألفاظ

المسألة الثانية: تجسم المعاني ونفخ الروح في الجمادات

"إن من البيان لسحرا"³ يرى النورسي أن حياة الكلام ونموه: بتجسم المعاني وبنفخ الروح في الجمادات، وذلك بإلقاء الحوار فيما بينها بالسحر البياني الحاصل بقوة الخيال؛ المبنية على المغالطة الوهمية، المؤسسة على الدوران، فالسحر البياني إذا تجلّى في الكلام بَعَثَ الحياة في الجمادات كالساحر، ويوقع بينها محاورة قد تنجر إلى المحبة أو المخاصمة، فيجسم المعاني ويحييها ويدرج فيها الحرارة الغريزية، فتجسيم المعاني، ونفخ الروح في الألفاظ، والبحث عن ذلك في النصوص مهمة شاقة تحتاج لعلماء أكفاء.

المسألة الثالثة: أسلوب الكلام

إن حلل الكلام أو جماله وصورته: بأسلوبه، أي بقالب الكلام ، فالأسلوب بهذا قالب الكلام كما هو معدن جماله ومصنع حلله الفاخرة، فإذا أنعمت النظر في أسلوب الكلام -الكلام الطبيعي الفطري- تر المتكلم في مرآة الأسلوب، حتى كأن نفسه في أنفاسه ونبراته، وماهيته في نفثاته، وصنعتة ومزاجه ممتزجان في كلامه، فلو تخيلت الأمر هكذا لما عوتبت في مذهب الخياليين.

وباختصار فمراد النورسي من الأسلوب هو: قالب الكلام وصورته، إن مراتب الأسلوب متفاوتة جداً؛ بعضها أرق من النسيم إذا سرى في السحر، وبعضها أخفى من دسائس دهاة الحرب في هذا الزمان، لا يشمه إلا ذوو الدهاء .

المسألة الرابعة: تجاوب قيود الكلام وتعاون كيفياته

يرى النورسي أن قوة الكلام وقدرته: أن تتجاوب قيوده، وتتعاون كيفياته ، وكأن القيود مسيل ووديان، والمقاصد حوض في وسطها يستمد منها، وقد وضع كلامه حول هذه المسألة في قوله تعالى: {وَلَيْنَ مَسْتَهْمُ نَفْحَةٍ مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَاوَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ (46) } {الأنبياء}.

المسألة الخامسة: المقصد والغرض من الكلام

³ - أخرجه البخاري (9/ 173) كتاب النكاح باب الخطبة، ومالك في الموطأ (2/ 986)، وأبو داود (5007)، والترمذي (2029)، وأحمد في المسند (2/ 16) من حديث عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - مرفوعاً، ورواه مسلم (869)، وأحمد في المسند (4/ 263) من حديث عمار بن ياسر - رضي الله عنه - مرفوعاً.

كما يرى النورسي أن أصل الكلام وصورة تركيبه يفيد المقصد نفسه، كما أن غناه وثروته وسعته هو في بيان لوازم الغرض وتوابعه وهزه بتلميحات مستتبعاته وبإشارات الأساليب؛ إذ التلميح أو الإشارة أساس مهم يهز عطف الخيالات الساكنة ويستنطق جوانبها الساكنة، فيهيج الاستحسان في أقصى زوايا القلب، وقد ضرب على ذلك عدة أمثلة من الشعر العربي الرصين، وقد خلاص إلى أن "مفتاح دلائل إعجاز الآيات وكشاف أسرار بلاغتها، البلاغة العربية لا الفلسفة اليونانية».

المسألة السادسة: المعاني المتولدة من الكلام

يرى النورسي أن ثمرات الكلام هي: المعاني المتولدة في صور متعددة والمتفجرة في طبقات متفاوتة، الكلام الذي هو خريطة مختصرة أخذت من صورة المعاني المتفاوتة، فالمفاهيم المتفاوتة تتشكل صورها كالآتي:

إنه باهتزاز قسم من أحاسيس القلب بتأثيرات خارجية تتولد الميول، ويتكون معان هوائية منها وتعلقها بنظر العقل توجه العقل إلى نفسها.. ثم بتكاثف قسم من ذلك المعنى البخاري يبقى قسم من الميول والتصورات معلقة.. ثم بتقطر قسم آخر يرغب فيه العقل.. ثم القسم المائع يتحصل منه ويصلب، فيضمه العقل ضمن الكلام.. ثم ذلك المتصلب لأنه يتجلى ويتمثل برسم خاص به، يظهره العقل بكلام خاص حسب قامته المخصوصة، بمعنى أن المتشخص من المعنى يأخذه العقل ضمن صورة خاصة للكلام.

المسألة السابعة: فلسفة البيان

إن العقدة الحياتية للبلاغة، أو بتعبير آخر "فلسفة البيان" أو "حكمة الشعر" هي التمثل بنواميس الحقائق الخارجية ومقاييسها، أي: تمكين قوانين الحقائق الخارجية في المعنويات والأحوال الشاعرة من حيث القياس التمثيلي وبطريق الدوران وبتصرف الوهم، بمعنى آخر: أي أن البليغ يتمثل أشعة الحقائق المنعكسة من الخارج كالمرآة، وكأنه يقلد الخلقة ويحاكي الطبيعة بصنعه الخيالية وبنقش كلامه، لله درك يا نورسي أتبعتم العلماء بعدك .

المسألة الثامنة: تشرب معنى الكلمة بغرض الكلام

يرى النورسي أن تلقيح المعاني البيانية وتبادل مواضعها وانقلاباتها، إنما هو: بتشرب معنى الكلمة الحقيقي بغرض الكلام أو جذبه بمعنى من المعاني المعلقة إلى جوفه، وحال ما يدخل فيه يرجع المعنى إلى الحقيقة والأساس التي هي صاحب البيت، أما المعنى الذي هو صاحب اللفظ الأصلي فيرجع إلى صورة حياتية تمده، وتستمد من المستبعات، هذا هو السر في وجود معان عدة لكلمة واحدة، ومنه ينبع التلقيح والتبادل والانقلاب.

المسألة التاسعة: أعلى مراتب الكلام

إن أعلى مراتب الكلام وكماله الذي يعجز الإرادة الجزئية والتصور البسيط للإنسان هو: تضمن الكلام واستعداده بتعدد المقاصد المتداخلة المتسلسلة، ويتسلسل المطالب المرتبطة المتناسلة، وباجتماع الأصول المولدة لنتيجة واحدة، وباستنباط الفروع الكثيرة المولدة لثمرات متباينة، وبعد ذلك ذكر العلامة بديع الزمان النورسي عدة مسائل عميقة ومتخصصة، أوجزها ونبه على العودة لشرحها، فليراجعها من يشاء في هذا القسم، تحت هذه المسألة.

المسألة العاشرة: سلاسة الكلام

إن سلاسة الكلام، بعدم التشابك، وعدم القفز من حس إلى آخر، مع تقليد الطبيعة وتمثل الخارجيات، والسداد إلى مسيل الغرض، وتميز المقصد والمستقر، وينبغي أيضا مساوقة الطبيعة والتعلم عليها بصنعة المتكلم الخيالية، كي تنعكس قوانينها في صنعته.

المسألة الحادية عشرة: سلامة البيان وصحته

إن سلامة البيان وصحته: إثبات الحكم بلوازمه ومبادئه وبآلات دفاعه، وفي سبيل تحقيق ذلك كما يرى النورسي يجب عدم الإخلال بلوازم الحكم، وعدم إفساد راحته، مع رعايته، والرجوع إلى مبادئه لاستمداد الحياة.. وذلك بالتقيد بقيود الإجابة عن كل سؤال مقدر في رد الأوهام ودفع الشبهات.. ولو فهم المتجادلون لكفونا شر السفسطات التي نشاهدها ونسمعها الآن.

المسألة الثانية عشرة: أسس الأساليب البلاغية

أسس الأساليب ثلاثة كما يستنبطها النورسي من الكتب المتخصصة :

الأول: الأسلوب المجرد، كالأسلوب السلس للسيد الشريف الجرجاني، ونصير الدين الطوسي.

الثاني: الأسلوب المزين، كالأسلوب الباهر الساطع لعبد القاهر الجرجاني في دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة.

الثالث: الأسلوب العالي، كبعض الكلام المهيب للسكاكي والزمخشري وابن سينا ، و كلام النورسي فيما ألفه بالعربية .

وعلى العالم -كما يرى النورسي - أن يختار الأسلوب المناسب في كل فن ، فإن كان في بحث الإلهيات وتصوير الأصول، فعليه بالأسلوب العالي، ففيه الشدة والقوة والهيبة، بل عليه ألا يغادر هذا الأسلوب.

وإن كان العالم في بحث الخطاب والإقناع، فعليه بالأسلوب المزين ذي الحلي والحلل والترغيب والترهيب؛ لا يدع هذا الأسلوب ما استطاع، بشرط ألا يداخله التصنع والتظاهر، وما يثير العوام.

وإن كان العالم في المعاملات والمحاورات وفي العلوم الآلية، فعليه بالأسلوب المجرد وحده فهو الذي يحقق وفاء الموضوع، واختصار البحث وسلامة القصد، ويجري على وفق السليقة، حتى إنه يبين جماله الذاتي بسلاسته، وتأمل في مؤلفات النورسي وستجد تنوع أساليبه وفقاً لتنوع فنون العلوم والمسائل التي يتناولها، وهكذا تنوعت أساليبه وفقاً لمقتضى الحال والمقام .

المقالة الثالثة:عنصر العقيدة

بعد كشف الشبهات ، وبيان أهمية البلاغة في فهم النصوص ، والنماذج التي ذكرها واستخدام البلاغة في الفهم الأمثل وتفسير النصوص ، جاء دور هذه المقالة الغالية ، وهي أهم مقالة على الإطلاق ، فهي لب الإيمان ، وقلبه النابض، كما أنها أساس العقيدة ، ولها وعليها عاش النورسي .

إذا كانت العقيدة هي أساس الدين ولبه، فإن الجانب الإلهي منها هو جوهر هذا الأساس وروحه، وكلمة الشهادة هي لب هذا الجوهر ودرته، ومن هنا كان اهتمام القرآن الكريم والسنة الشريفة بالعقيدة عامة والجانب الإلهي منها خاصة، وقد تمثل هذا الاهتمام بوجوب النظر فكان التفكير فريضة إسلامية، والانتقال من النظر في الخلق إلى الإقرار بوجود الخالق، والانتقال من إبداع الكون وكماله إلى اتصاف المبدع بكل كمال وتنزهه عن أي نقص حتما وواجبا .

ولقد أدرك المتكلمون اهتمام القرآن العظيم والسنة الشريفة بالعقيدة عامة وبالجانب الإلهي خاصة، فكان اهتمامهم بما اهتم به القرآن والسنة إتباعا لا ابتداعا، وقد تمثل هذا الاهتمام في الدعوة للنظر الصحيح، ثم البراهين على وجود الخالق وما تنطق به تلك البراهين من آيات على اتصافه تعالى بكل كمال يليق بذاته تعالى، وتنزهه تعالى عن كل نقص لا يليق بذاته، وما يستلزمه من نقض شبهات المعاندين ودحضها

أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم

هذه الكلمة السامية، أساس الإسلام.. وأنور راياته وأعلاها التي ترفرف على الكائنات طرا، نعم، إن الإيمان الذي هو عهدنا بالميثاق الأزلي قد اندرج في هذا الكلام المقدس، والوحدانية

برهان على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم كما أن نبوته صلى الله عليه وسلم برهان على وحدانية الله تعالى .

وإن الإسلام الذي هو الماء الباعث على الحياة، قد نبع من عين حياة هذه الكلمة، فهذه الكلمة ميثاق أزلي سلم بيد المبشرين بالفوز بالسعادة الأبدية والمعنيين بها، من بين البشرية المرشحة للخلود.

إن كلمتي الشهادة كل منها شاهد صادق على الأخرى، فالألوهية برهان "لبي" للنبوة ومحمد صلى الله عليه وسلم بذاته وبلسانه برهان "إني" للألوهية⁴.

مقدمة المقصد الأول (أشهد أن لا إله إلا الله)

من المعلوم لدى المدققين أن مقاصد القرآن أربعة: إثبات الصانع الواحد، والنبوة، والحشر الجسماني، والعدل.

فالمقصد الأول (أشهد أن لا إله إلا الله) يخص الدلائل على الصانع الجليل، ومحمد صلى الله عليه وسلم، أحد براهينه، ثم ساق بعض الأجوبة على بعض الأسئلة التي وجهت إليه .

ثم تحدث عن المناهج المعتمدة في الأدلة على وجود الله، وبين النورسي موقفه من هذه المناهج، وهي أربعة مناهج كما يراها النورسي، وكما هي في كتب علم الكلام .

أولها: مناهج علماء الصوفية، المؤسس على تزكية النفس والسلوك الإشراقي.

ثانيها: طريق علماء الكلام المبني على الحدوث والإمكان.

هذان الأصلان وإن تشعبا من القرآن الكريم، إلا أن فكر البشر قد أفرغهما في صور أخرى فأصبحتا طويلة وذات مشاكل، وهذا حق وقد عانيت منه بحكم التخصص .

ثالثها: مسلك الفلاسفة.

⁴ - البرهان الإني واللي: فالإني -بتشديد النون- مصدر صناعي مأخوذ من "إن" المشبهة بالفعل التي تدل على الثبوت والوجود. أما اللي، فهو مصدر صناعي مأخوذ من كلمة "لِمَ" للعلية. وفي (التعريفات للجرجاني): الاستدلال من العلة إلى المعلول برهان لبي، ومن المعلول إلى العلة برهان "إني" .

وهذه المناهج الثلاثة ليست مصونة من الشبهات والأوهام، والأمر كما قال .

رابعها: المعراج القرآني الذي يعلنه ببلاغته المعجزة، فلا يوازيه طريق في الاستقامة والشمول، فهو أقصر طريق وأوضحه وأقربه إلى الله وأشمله لبنى الإنسان.

وقد اختار النورسي هذا الطريق الأمثل وهو نوعان:

الأول: دليل العناية: وخلصته: أن رعاية المصالح والحكم في نظام العالم الأكمل، مما يثبت قصد الصانع وحكمته، وينفي وهم المصادفة، فواجب على من أراد أن يعرف الله حق معرفته، ويقدره حق قدره أن يفحص عن منافع الموجودات، ويتتبع الحكمة في كل موجود، ليعرف السبب الذي خلق من أجله، والغاية المقصودة به، وبذلك يكون وقوفه على **دليل العناية** أتم وأكمل.

ومن أمثلة هذا النوع: موافقة المكان الذي يوجد فيه الإنسان وهو الأرض، وموافقة الليل والنهار والشمس والقمر، وموافقة الفصول الأربعة، وموافقة كثير من الحيوان والنبات والجماد، لقضاء ضروراته والحصول على حاجياته، وما يستفيد منه الإنسان وينتفع به من الأمطار والأنهار والبحار، إلى غير ذلك من الأشياء، من كل ما هو موافق لحياته، وملائم لوجوده.

قال تعالى: {الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَافُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ (3) ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ (4)} الملك.

وإن شئت فراجع القرآن الكريم، تجد دليل العناية بأكمل وجه في وجوه الممكنات؛ لأن القرآن الكريم الذي يأمر بالتفكير في الكون، يعدد أيضا الفوائد ويذكر بالنعم الإلهية.. فتلك الآيات الجليلة مظاهر لهذا البرهان، برهان العناية.

الدليل القرآني الثاني: دليل الاختراع.

معنى الاختراع هو الإيجاد والإحداث، **وخلصه هذا الدليل** إن الله تعالى أعطى لكل فرد ولكل نوع وجودا خاصا هو منشأ آثاره المخصوصة ومنبع كمالاته اللاتئة إذ لا نوع يتسلسل الأزل لأنه من الممكنات ولبطلان التسلسل وإن الحقائق لا تنقلب بل ثابتة والأنواع المتوسطة لا تدوم سلاسلها أما تحول الأصناف فهو غير انقلاب الحقائق إذ ما يسمونه من تغير صور المادة ما هو إلا حادث لأن حدوث بعضها مشهود وبعضها الآخر يثبت بالضرورة العقلية فالقوى والصور من حيث أنها

عرضية لا تشكل التباين الجوهري الموجود في الأنواع فلا يكون العرض جوهرًا ففصائل الأنواع إذا وميزات عموم الأغراض وخواصها قد أبدع واخترع من العدم البحت.

أما التناسل في السلسلة فهو من الشرائط الاعتبارية الاعتيادية فيا عجبًا كيف تستوعب أذهان الضلالة أزلية المادة وهي تنافي الأزلية قطعًا بينما تعجز تلك الأذهان أن تدرك أزلية الخالق الجليل التي هي من ألزم صفاته الضرورية ، ثم كيف وجدت الذرات المتناهية في الصغر قوة وثباتًا بحيث تقاوم أوامر القدرة الإلهية وتبقى أزلية بينما الكون بعظمته منقاد إلى تلك الأوامر انقياد طاعة وخضوع وكيف يسند الإبداع والإيجاد وهما من خواص القدرة الإلهية إلى أعجز شيء وأهونه وهو الأسباب فالقرآن الكريم يرسخ هذا الدليل في آياته التي تبحث عن الخلق والإيجاد ويقرر أن لا مؤثر إلا الله وحده فالأسباب لا تأثير لها تأثيرًا حقيقيًا وإنما هي ستائر أمام عزة القدرة وعظمتها لئلا يرى العقل مباشرة يد القدرة بالأمور الخسيسة بنظره الظاهر .

فهذا إجمال دليل الاختراع وإن شئت تفصيله بوضوح فادخل جنان القرآن الكريم، فإنه مامن رطب ولا يابس إلا وتفتح في كتاب مبین زهرة زاهية أو برعما لطيفا، ومن أوائل من تحدث عن دليل العناية ودليل الاختراع إمام أهل السنة والجماعة الإمام الماتريدي ، وقد شرحهما أكثر ابن رشد حتى أن بعض العلماء اعتبرهما من إبداع ابن رشد وهو مسبوق فيهما من الإمام الماتريدي .

والحاصل: كما أن القرآن وهو الكتاب المسطور يفسر بعضه بعضا، كذلك سطور كتاب العالم وهو الكتاب المنظور يفسر ما وراءه من إتقان وحكمة.

وأعقب بديع الزمان النورسي ذلك أي براهني القرآن على وجود الله ، أعني الاختراع والعناية ، ببعض الشبهات التي نتجت عن مسالك الفئات الأخرى ، مثل : القول بوحدة الوجود ، ووحدة الشهود ، وقام بتفنيد هذه الشبهات ورد عليها .

إذا قلت: أريد بيان دلائل التوحيد ولو إجمالاً أقول: إن دلائل التوحيد أكثر بكثير من أن يضمها كتب فضلا عن صيقل الإسلام، وما تضمنته الآية الكريمة: {لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ

لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ (22) الأنبياء: من برهان التمانع دليل كاف، ومنار ساطع على هذا المنهاج. نعم، الاستقلال خاصة ذاتية ولازم ضروري للألوهية.

إن تشابه آثار العالم، تعانق أطرافه، وأخذ بعضه بيد بعض، وتكميل بعضه انتظام البعض الآخر، وتجاوب الجوانب، وتلبية بعض لسؤال بعض، ونظر الكل إلى نقطة واحدة، وحركة الكل بالانتظام على محور نظام واحد، تلوح بوحداية الصانع بل تصرح بأن صانع هذه الماكنة الواحدة واحد.

ثم أنهى بديع الزمان النورسي هذا المقصد بالتمهيد للمقصد التالي، ويدور الحديث فيه عن القسم الثاني من قسسي الشهادة، وهو الشهادة بنبوة النبي صلى الله عليه وسلم، والنبي صلى الله عليه وسلم هو من أكبر الأدلة على وجود الله تعالى ومعرفته، فالنبي صلى الله عليه وسلم أصدق شاهد حي، وأفصح برهان ناطق، وأقطع حجة على الصانع الجليل؛ إذ من حيث الخليفة برهان باهر، ومن حيث الحقيقة لسانه شاهد صادق على وجود الله تعالى، وعلى النبوة، وعلى المعاد واليوم الآخر.

النبوات

المقصد الثاني: اللهم صل على سيدنا محمد الذي دل على وجوب وجودك...

استهل النورسي مقصد الحديث عن قسم النبوات، وهو القسم الثاني في الإيمان، وغن شئت فقل هو الوساطة بين الإلهيات والسمعيات، فاستهل الحديث عن النبوات بحكم النبوة، وأنها من حكمة الصانع الجليل، كما أنها ضرورة بشرية، ولا عجب فالأنبياء واسطة البلاغ من الله تعالى لبيان مراده وتكليفه للناس، وجزاء من يمثل وعقاب من يأبى أو يقصر، وقد جاء الحديث عن النبوات عند النورسي في عدة نقاط أوجزها كالتالي.

النقطة الأولى: إدراك الإنسان وكشفه عن الترتيب في الأشياء، الناشئ من العلل المترتبة المتسلسلة في الخلقة.. وقابليته العلمية والتركيبية، ومعرفته الحاصلة من تحليله مركبات بذور كمالات الإنسانية إلى بسيطات، وإرجاعها إلى أصلها.. وقدرته على محاكاة الطبيعة، فالإنسان الذي هذه قابلياته، يدرك قصور نظره في صنعته، وزحمة الأوهام عليه، وافتقاره في جبلته الإنسانية.. مما يدل على حاجته الماسة إلى نبي مرشد، يحافظ على موازنة النظام المتقن في العالم.

النقطة الثانية: هي استعداد الإنسان غير المتناهي، وآماله ورغباته غير المحصورة، وأفكاره وتصورات غير المحدودة، وقوته الشهوية والغضبية غير المحددة، فترى الإنسان يتأسف ويتأفف ويقول: ليت كذا وكذا، حتى لو منح ملايين السنين من العمر، وتمتع بلذائذ الدنيا وحكم حكماً نافذاً في كل شيء.. وذلك بحكم اللاتناهية المغروزة في استعداداته، فكأن عدم الرضا هذا يرمز ويشير إلى أن الإنسان مرشح للأبد، ومخلوق للسعادة الأبدية، كي يتمكن من تحويل استعداداته غير المحصور من طور القوة إلى طور الفعل في عالم غير متناه وغير محدود بحدود، وأوسع بكثير من عالمه هذا، وهو عالم الآخرة .

النقطة الثالثة: هي اعتدال مزاج الإنسان، ولطافة طبعه، وميله إلى الزينة، أي ميله الفطري إلى العيش اللائق بالإنسانية؛ ولهذا احتاج إلى الامتزاج مع أبناء جنسه، ليتشاركوا فيتعاونوا، ثم يتبادلوا ثمرات سعيهم، وبالتالي يحدث اختلاف ونزاع، فكانت الحاجة ماسة إلى وضع قوانين كلية، وهي بدورها تحتاج لمقنن يجريها ، وهذا المقنن (النبي صلى الله عليه وسلم) له صلة بالحكيم الخبير ، وإلا فإن أي مقنن أو أي مشرع غير النبي سينحاز للبيئة التي أتى منها ، ويشرع القوانين المحابية لطبقته على حساب الطبقات الأخرى ، فتفسد الحياة لغياب العدل ، وهنا نلاحظ العدل الذي وضعه النورسي في أركان الإيمان .

ومن كل ما سبق : احتاج البشر أشد الحاجة إلى مرشد ومعلم.. فذلك المرشد هو النبي صلى الله عليه وسلم، كما أن اللاتناهية المغروزة في الإنسان تجعل الإنسان يحتاج إلى شريعة إلهية حية خالدة تحقق له سعادة الدارين معا مادة ومعنى، وتتوسع حسب قامة استعداداته ونموها... فالذي أتى بالشريعة هو النبي صلى الله عليه وسلم.

أي كمال عند غير المؤمنين هو من بقايا النبوات السابقة ، والنتيجة الحاصلة بالاستقراء التام هي: أن النبوة التي هي قطب المصالح الكلية ، ومحورها ومعدن حياتها ضرورية لنوع البشر، فلو لم تكن النبوة لهلك النوع البشري، إذ كأنه ألقى من عالم منظم إلى عالم مختل، فيخل بالقوانين الجارية العامة..

وبعد عرض وجه الحاجة للنبوات ، شرع في بيان براهين نبوة محمد صلى الله عليه وسلم

البراهين الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم

إن كل حال من أحواله صلى الله عليه وسلم، وكل حركة من حركاته دليل على صدقه، بل إن الزمان الماضي والزمان الحاضر -أي عصر السعادة النبوي- والمستقبل يتضمنان براهين نيرة على النبوة، ويرددان بلسان واحد برهان ذاته صلى الله عليه وسلم بأنه معدن الأخلاق العالية وداعي الصدق ودلال النبوة، فهذه الأزمنة تدل وتعلن عن نبوته وتبينها حتى لمن فقد بصره، وبراهين ذلك صاغها العلامة النورسي في صورة عدة مسالك كالتالي .

المسلك الأول للنبوة: معرفة ذاته الطاهرة الشريفة دليل على نبوته .

المسلك الثاني: إن صحيفة الماضي برهان على نبوته، ومجموع دلائل نبوة الأنبياء عليهم السلام دليل على صدقه صلى الله عليه وسلم، وجميع معجزاتهم معجزة معنوية له.

المسلك الثالث: في بيان صحيفة الحال الحاضرة -أعني عصر السعادة النبوية- برهان على نبوته .

المسلك الرابع: في مسألة صحيفة المستقبل، لاسيما مسألة الشريعة، برهان على نبوته .

وبعد ذكر العلامة النورسي البراهين الدالة على نبوة النبي صلى الله عليه وسلم ،وهي وإن ذكرت في كتب علم الكلام إلا أن الروح التي يصبغها بها العلامة النورسي تجعلها تدخل القلب بك سلام .

وبعد ذكر النورسي لهذه المسالك بالتفصيل في مواضعها أعقب ذلك بذكر مصادر الشبهات حول النبوة ،وقد ذكر أن الشبهات والريوب منبعها ثلاثة أمور وهي:

تجاهل مقصد الشرع- تجاهل كون الإرشاد بنسبة استعداد الأفكار- الاعتراض بأن القرآن الكريم هو أساس الشريعة ،وتتلخص الشبهات في التالي :

أولاهها:وجود المتشابهات والمشكلات في القرآن،وهذا مناف لإعجازه المؤسس على

البلاغة ،المبنية على ظهور البيان ووضوح الإفادة. كما في قوله تعالى: {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ

اسْتَوَى (5) طه.

ثانيتهما الإطلاق والإيهام في العلوم الكونية،مع أنه مناف لمسلك التعليم والإرشاد الذي هو المقصود الحقيقي للشريعة.

ثالثتهما: إن قسما من ظواهر القرآن أميل إلى خلاف الدليل العقلي، فيحتمل خلاف الواقع، وهو مخالف لطريق القرآن الذي هو التحقيق والهداية.

إن ما تتصورونه سبباً للنقص في هذه النقاط الثلاث ليس كذلك، بل هو أصدق شاهد على إعجاز القرآن.

أما الجواب عن الشبهة الأولى: وقد رأيت هذا الجواب - ضمناً - مرتين:

اعلم أن الجمهور الأكثر هم عوام، وأن جمهور العوام لا يجردون أذهانهم عن المألوفات والتخيلات، فلا يقتدرون على درك الحقائق المجردة والمعقولات الصرفة إلا بمنظار متخيلاتهم وتصويرها بصورة مألوفاتهم؛ لكن بشرط أن لا يبقى نظرهم على الصورة نفسها حتى يلزم المحال، كالجسمية، أو الجهة؛ بل يمر نظرهم إلى الحقائق.

وإذ كانت حسيات الجمهور في هذا المركز، فالذي يقتضيه، منهج البلاغة ويستلزمه طريق الإرشاد، رعاية أفهامهم واحترام حسياتهم ومماشاة عقولهم ومراعاة أفكارهم.

فهذه المنازل التي يراعى فيها عقول البشر، ويحترم تسمى بـ"التنزيلات الإلهية" فهذا التنزل لتأنيس أذهانهم، فلهذا وضع صور المتشابهات التي تراعى الجمهور المقيدون بأحاسيسهم ومتخيلاتهم، منظاراً على نظرهم لرؤية الحقائق المجردة.

ولهذا فقد أكثر الناس في كلامهم من الاستعارات لتصور المعاني العميقة أو لتصوير المعاني المتفرقة، في صورة سهلة بسيطة، بمعنى أن هذه المتشابهات من أكثر أقسام الاستعارات غموضاً، إذ إنها صور مثالية لأخفى الحقائق الغامضة، بمعنى أن الإشكال إنما هو من دقة المعنى وعمقه لا من إغلاق اللفظ وتعقيده.

أما الجواب عن الشبهة الثانية: **والمتمثل في** الإطلاق والإيهام في العلوم الكونية، مع أنه مناف لمسلك التعليم والإرشاد الذي هو المقصود الحقيقي للشريعة، فجوابه :

إن العلم بناء تراكمي، وما نصل إليه الآن نتيجة تراكمات علمية كثيرة، ونتائج اليوم كانت غيباً عن علماء الأمس، وبالتالي فنتائج اليوم إذا عرضت بالأمس سببت حرجاً كثيراً، ولغطاً في الفهم، ومن هنا كانت عظمة القرآن في تناول المعجزات الكونية، والعلوم المستقبلية، بصيغة تشير للحقائق، وتفتح الأبواب لما يستجد من علوم بأسلوب بلاغي إعجازي.

أما الجواب عن الشبهة الثالثة: وهو إمالة بعض ظواهر الآيات إلى ما ينافي الدلائل العقلية:

هذه شبهة لا دليل عليها ، فبراهين القرآن عقلية ، ونظام الكون واختراعه ، ورعاية الله لكونه جليلة في آية كونية قبل الآية المسطورة ، ولا شبهة إلا في عقول الضعفاء الجاهل أو الأغبياء أو الحاقدين .

المسلك الخامس : معجزات الأنبياء من أهم الأدلة على صدق الأنبياء عليهم السلام .
معجزات الأنبياء متنوعة :

منها : الإرهافات المتنوعة وهي مبشرات تسبق ظهور الرسل عليهم السلام .
ومنها : الإخبارات الغيبية الكثيرة ، وقد جاب الله بروح النبي عليه السلام في الماضي والمستقبل ليطلع على ما دار وما يدور في هذا الزمان .

ومنها : الخوارق الحسية التي أظهرها وقت التحدي والدعوى ، وقد بلغ هذا النوع إلى ما يقرب الألف ، ومن هذا النوع : نبعان الماء من أصابعه المباركة .

ومنها : تكلم الشجر والحجر والحيوان .

ومنها : انشقاق القمر.....

وخلص العلامة النورسي إلى أن النبوات من أدلة وجود الله تعالى ، فإذا قيل : ما الدليل

الواضح على وجود الإله الذي تدعوننا إليه؟

أقول: إنه محمد صلى الله عليه وسلم ، فمحمد صلى الله عليه وسلم من أدلة وجود الله ووحدانيته .

ويختتم النورسي هذا المقصد أعني مقصد إثبات النبوات بعبارات بليغة، فإذا قلت : يا بني

آدم! من أين؟ وإلى أين؟ ما تصنعون؟ من سلطانكم؟ من أين مبدؤكم؟ وإلى أين المصير؟.

فبينما المحاورة، إذ قام سيد نوع البشر محمد صلى الله عليه وسلم وخطيبهم ومرشدتهم: أيها السائل نحن معاشر الموجودات أتينا بأمر السلطان الأزلي، مأمورين ضمن دائرة القدرة الإلهية، وقد ألبسنا واجب الوجود المتصف بجميع صفات الكمال، وهو الحاكم الأزلي، حلة الوجود هذه، ومنحنا استعدادا هو رأسمال السعادة.. ونحن معاشر البشر ننشغل الآن بتهيئة أسباب تلك السعادة الأبدية.. ونحن على جناح السفر، من طريق الحشر إلى السعادة الأبدية.

فيا أيها الحكمة شهدي وقولي مثلما ترين، ولا تخلطي الأمور بالسفسطة.

المقصد الثالث: وهو الحشر الجسماني

الخلق بدون حشر عبث، بل لا يكون، فالحشر حق وصدق، وأوضح براهينه محمد صلى الله عليه وسلم، وهذا من إبداع النورسي، فقضايا العقيدة عنده هي براهينه، ولقد أوضح القرآن الكريم، الحشر الجسماني إيضاحاً جلياً لم يدع مجالاً لدخول أية شبهة كانت، ونحن هنا نشير إلى قسم من مقاصده ومواقفه، معتمدين على براهين القرآن للقيام بشيء من تفسير جزئي للحشر الجسماني.

المقصد الأول: تطلع الكائنات إلى الكمال

يرى النورسي أن في الكائنات نظاماً أكمل.. وإن في الخلقة حكمة تامة.. وأن لا عبثية في العالم.. ولا إسراف في الفطرة.. والاستقراء التام الثابت بجميع العلوم.. والقيامة النوعية المكررة في كثير من الأنواع كالיום والسنة.. وجوهر استعداد البشر.. وعدم تناهي آمال الإنسان.. ورحمة الرحمن الرحيم.. ولسان الرسول الصادق الأمين صلى الله عليه وسلم.. وبيان القرآن المعجز.. كل ذلك شهود صدق وبراهين حق وحقيقة على الحشر الجسماني.

المقصد الثاني: إحياء الأرض نموذج لإحياء الموتى يوم الحشر

بدأ الكتابة فيه في هذا الكتاب عن المقصد الثاني، ولم تتح له الكتابة، وبعد ثلاثين عاماً شرع في كتابة هذا المقصد، وقد رجعت للشعاع التاسع من كتاب الشعاعات، فوجدته يشرح قوله تعالى: {فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (50)} الروم.

وهذا الشعاع التاسع عبارة عن تسعة مقامات سامية مما أشارت إليه الآيات الكريمة، فليراجعها في مظانها من يريد، وهذا يؤكد ما ذهب إليه من أن كتابه صيقل الإسلام أو المحاكمات العقلية هو موجز، وغيره شروح وتفسير.

المنطق

النورسي عالم جليل بلغ رتبة العبقرية بلا نزاع ، آمن بفائدة المنطق والفلسفة وسائر علوم الأوائل المفيد منها، فهو في المحاكمات العقلية ، ينصح الدارس أن يبدأ بعد تعلم القراءة والكتابة وأصول النحو واللغة والشعر، وفن التعامل مع المتشابهات ، وبلاستعانة بعلوم البلاغة ، بالنظر في حدود المنطق، وعلم الأجناس، والأنواع والأسماء المفردة والقضايا والمقدمات، والقرائن ، والنتائج ؛ليعرف ما البرهان؟ وما القياس والاستقراء والتمثيل ، ويميزها من الأباطيل تمييزاً لا يبقى معه ريب.

وعلم المنطق من العلوم الضرورية في الدراسات النظرية ؛ بل هو بحق مدخل إليها جميعاً ، وهو للعلوم المتصلة بالعقائد والميتافيزيقا أمس وأكد ، وبالتالي فهو علم حسن رفيع؛ لأن فيه معرفة العالم كله بكل ما فيه من أجناسه إلى أنواعه، إلى أشخاص جواهره وأعراضه، والوقوف على البرهان الذي لا يصح شيء إلا به وتمييزه مما يظن من جهل أنه برهان وليس برهاناً، ولا عجب فهو فن يقود الفكر أحسن قيادة إلى معرفة الأشياء سواء أكان ذلك في موقف التعلم أو التعليم ، وبالتالي فمنفعة هذا العلم عظيمة في تمييز الحقائق مما سواها، وتفهم طرق الفكر والنظر، وتنوير مسالك الأقيسة والعبر.

ففائدة المنطق أمر لا يرتاب فيه منصف؛ لأنها فائدة غير واقفة عند حدود الاطلاع والرياضة الذهنية؛ بل تتدخل في سائر العلوم الديانة ، والمقالات والأهواء ، وعلم النحو واللغة والخبر، وما

كان بهذا الشكل فإنه حقيق أن يطلب ، وأن تكتب فيه الكتب، وتقرب فيه الحقائق الصعبة، ولكن لا يكون هدفا في حد ذاته ، بل لا يخرج عن كونه من العلوم المساعدة .

فالمنطق له صلة بالكثير من العلوم ، فالمنطق وعلم النفس بينهما علاقة ، فكلاهما ينبثق من مشكاة واحدة ، والمنطق واللغة بينهما علاقة ووثيقة، فاللغة هي المعبرة عن الأفكار المكنونة داخل النفس ، ولولاها لما أمكن التخاطب والتفاهم بين الناس ، وبين المنطق وعلم الاجتماع علاقة أيضاً ، فالجماعة الإنسانية إنما تخضع لمنطق العقل الجمعي ، ورباط هذا العقل الفكر والكلام ، والفكر في حد ذاته حقيقة اجتماعية ليست عقيدة ذاتية فردية

وعلم المنطق كما يعرفه الدارسون ، وكما أعرفه لا إبداع فيه ، فالكل عالة على ما كتبه الأقدمون، من تراث اليونانيين إلى تراث المسلمين ، كالكندي، والفارابي، وابن سينا ، والغزالي ، والبغدادى ، وابن حزم ، والكلنبوي ، وعبد الرحمن الأخضري ، ووغيرهم الكثير والكثير الخ .

وبالتالي فالإبداع في المنطق عسير ، فكأن هذا العلم قد شيد بناؤه ووقف على ما انتهى عليه أعلامه، وليس بدعاً في هذا العلامة النورسي ، فكان الإبداع النورسي حين اتجه إلى تحقيق التراث في هذا العلم ، أو كتابة التعليقات على ما تم نتاجه ، وقد وجدت للنورسي في حديثه عن المنطق رسالتين ، عبارة عن حاشية ، وتعليقات ، أما الحاشية فهي على متن «السلم المنورق للشيخ عبد الرحمن الأخضري» مع شرح أخيه عبد المجيد النورسي، وأما التعليق فهو على كتاب الكلنبوي .

والهدف من الحاشية والتعليق على كل حال ، هو تعويد الأذهان على الدقة في الملاحظة والإنعام في النظر، وقد نبه على أهمية المباحث المبدوءة بـ"اعلم".

والمنطق كما هو معلوم آلة قانونية، تعصم مراعاتها الذهن عن الخطأ في الفكر، ولا بد لمن يبتدئ بشيء من العلوم:

من معرفة الرؤوس الثمانية استحسنانا: وهي الفهرسته (وبيان المسائل إجمالاً، واسم الفن، وموضوعه، وغايته، وتعريفه، وشرفه باعتبار ما؛ إما باعتبار الموضوع أو الغاية، أو الدليل والرتبة ، هل هو من موجود النقش، أو اللفظ، أو الذهني، أو الخارجي؟ ليكون تحصيل المحصل على ما فرضه الشرف والرتبة.

ومن ثلاث عرفا: وهي الموضوع، والغاية، والتعريف.

ومن اثنين عقلا: وهما التصور بوجه ما ، والتصديق بفائدة ما.

وفي المجمل فقد احتل المنطق عن النورسي بالحاشية والتعليقات مساحة ليست صغيرة في مؤلفاته، ولم تلق العناية التي تحتاجها، قد يكون لصعوبة علم المنطق، قد يكون لعدم أهميته عند البعض، أو لغياب فائدته وتدخله في سائر العلوم عند البعض، أو كل ذلك جائز.

وفي النهاية ما يريد النورسي قوله أو ذكره في حديثه عن المنطق، هو ضرورة الاشتغال به للعلماء لمعرفة: أنواع العلم الحادث، وأنواع الدلالات الوضعية، ومباحث الألفاظ، والنسبة بين الألفاظ والمعاني، والمعرفات، والقضايا وأحكامها، والمحرفات، والتناقض، وهذا أهم ما دار في حاشيته على السلم الأخضر.

وفي تعليقاته على الكلنبوي، ذكر بعد المقدمات: الكلي والجزئي، في الذاتي والعرضي، وفي الحدود، والقضايا، والقضية الحملية، والعدول والتحصيل، والقضية الشرطية، والعكس، وعكس النقيض، وأخيراً في الأدلة والحجج والبراهين.

الخطبة الشامية

وهذه الرسالة التي ألفها بديع الزمان النورسي باللغة العربية، قد أُلقيت درساً في الجامع الأموي بدمشق، وذلك بناء على إصرار العلماء هناك، واستمع إليها ما يقرب من عشرة آلاف شخص، بينهم ما لا يقل عن مائة من كبار علماء الشام، والعجيب أن الخطبة مازالت صالحة لإصلاح الخلل في زماننا الحالي، فكأنه يلقيها لنا، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وقد اشتملت الرسالة على مقدمة وموضوعات رئيسة قد نقحها النورسي بعد ذلك، فجاءت الخطبة الشامية محتوية على موضوعات موجزة بمثابة تلخيص لموضوعات رسائل النورسي وتراثه العظيم، وكلها في سبيل بناء الإيمان وتحقيقه، فتحدث عن أمراض الأمة الإسلامية، كما تحدث

عن الأمل ، واستعداد الإسلام للرقى المعنوي ، واعتبار الإسلام التفكير فريضة إسلامية ، والموانع التي حالت دون انتشار الإسلام ، كما ضمنها شهادات أعداء الإسلام على عظمة الإسلام وعلى شموله ، كما ضمنها استعداد الإسلام للتقدم المادي ، كما ضمنها حقائق الإسلام ونصاعته ، كما اشتملت الخطبة على الحرية الشرعية ، والشهامة الإيمانية ، والعزة الإسلامية ... الخ .

والآن قد بدأت تباشير تحقق ما أخبر عنه تلوح في أفق العالم الإسلامي، بمعنى أن هذا الدرس المهم ليس مجرد خطبة قديمة، قد عفا عليها الزمن، بل هو درس اجتماعي إسلامي، يحتفظ بكامل جدته وطراوته وحقيقته طوال هذه الفترة، يهدف من خلالها إلى تجديد الدين ، وإحياء دنيا الناس بنور الإيمان .